بسم الله الرحمن الرحيم

الاتجاهات الثقافية في عصر الدولة الرسولية

(بحث مقدم إلى مؤتمر – تعز على مر العصور– المنعقد في جامعة تعز من ٢٥–٢٧ مايو ٢٠٠٩م)

إعداد

الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ. كلية الآداب. جامعة صنعاء

تنشأ الاتجاهات أو التيارات الثقافية والفكرية في أي بيئة تحت مؤثرات عدة ، فقد يكون الإلف والعادة ، وتوارث الأجيال أدى إلى توليد تيار بعينه .

وربما كان لتدخل الدولة في تبني تيار معين أو اتجاه معين فتعطيه قوة نفاذ ، وسعة انتشار .. وهذا مرتبط بحسب قوة الدولة ..

وربما كان لتغلب رجال فكر ما على مفاصل الثقافة والفكر في مجتمع ما فيؤدي هذا إلى تسارع الناس للسير وراء قادة الفكر بشكل متدرج وبخطوات متداعية لا يشعر بها حتى المتحدث الأول عن التيار أو الاتجاه بصورة واضحة ..

وربما نبت التيار أو الاتجاه من خلال التدافع في المحاكاة والتقليد ، فيبدأ عمل ما في مكان ما وإذا به يلقى القبول عند الناس في مكان آخر ، فيتنافسون في ممارسته حتى يصبح ظاهرة أو تياراً أو اتجاهاً ..

وهكذا فإن عوامل عملية توليد أو تولد التيارات والاتجاهات تختلف وتتعدد ، ولكن النتيجة أن تياراً أو اتجاهاً يولد وله رجاله ، ونشاطاته ، وآثاره ..

وبناءً على ما سبق ستحاول هذه الورقة أن تستنطق الواقع التاريخي للفكر والثقافة المعاش في عصر الدولة الرسولية ، فتستلهم منه الاتجاهات السائدة التي تداولها الناس في ذلك العصر، لأن هذا سيقودنا إلى معرفة حقيقة ما كان يحدث في أوساط الناس من تغيرات : إما سلبية ، أو إيجابية .. نمو وازدهار ، أو ركود وخمول .

لأن الفكر هو الأصل في الإنسان ، وإذا انعدم عنده الفكر صار عديم الإنسانية بل صار إلى الحيوانية أقرب منه إلى الإنسانية .

والفكر إما أن يكون فكراً متطابقاً مع مقومات كيان الإنسان وفطرته النقية فيحصل الانسجام والنماء ، والسعادة . وإما أن يتنافر الفكر مع مقومات الكيان البشري وفطرته النظيفة فيحدث التناقض والتمزق والتشرذم ، مما يؤدي إلى الشقاء مهما ظهرت آثار الفكر المادية فإن النفوس تكون ممزقة من داخلها ، ومن ثم تعيش في ضنك .

وبما أن هذه الورقة تسعى إلى استنطاق الأحداث من خلال الوقائع التاريخية لتبحث عن الاتجاهات والتيارات التي نشأت في عصر بني رسول .. فإنه في البداية لابد من الاعتراف بأن هذه الورقة لا تجزم بأن المعروض هنا هو حصر كامل لتلك الاتجاهات ، وإنما هو محاولة لوضع إطار عام لتلك الاتجاهات الثقافية .

فستعرض لمجموعة من الاتجاهات الثقافية التي تحسب أنها كانت غالبة على مسرح الأحداث . وأما ترتيبها في هذه الورقة فليس مقصوداً ولا يدل على الترتيب الزمني .. إلا أننا في البداية نحتاج إلى التعرف على بعض المصطلحات الواردة في هذه الورقة بشكل موجز ..

<u>التعريف بالمصطلحات :</u>

الاتجاه هو الوجه الذي يقصده الشخص .. وقد يتحول الاتجاه هذا من اتجاه فرد إلى اتجاه مجموعة ، بل وإلى اتجاه أمة .

وأما التيار فهو لفظ يستعمل للتيارات الهوائية على سطح البحر ، ومنه شدة جريان الماء ومنه التيار الكهربائي .. وربما استخدم هنا على سبيل المجاز حيث يصبح الفكر أو النوع الثقافي تياراً غالباً مكتسحاً .. ومن ثم فهو قريب من لفظ الاتجاه .

وأما الثقافة فهو لفظ تقلبت مشارب الدارسين في تحديد معناه وكل ينظر له بمنظار خاص ولكننا هنا نعني به العلوم والمعارف والفنون التي حذقها القوم[١]وكانت سائدة في أوساط المجتمع .

أولاً : اتجاه الجدل الكلامي :

الجدل الكلامي هو ذلك المعترك الذي ساد في أوساط بعض المتعلمين حول ما عرف في تلك العصور بعلم الكلام ويقصد به ذلك الجدل الذي ثار حول " ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام "[٢] وذلك للاستدلال بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه على عقيدة الإسلام[٣] ..

يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)[٤] الذي يعد أحد أبناء العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه إن " علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم لأن الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا ، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا ، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دفعوا ونصروا ، وأما الآن فلم يبق إلا كلام تنزه الباري " .

ولهذا فقد ظل هذا العراك الكلامي بين الفرق وتمادوا فيه بحيث صار داخل دوائر مغلقة إلا إذا استغله ذو المطامع في الحكم والرياسة .

وهذا ما نجده بين طوائف الزيدية حيث كان هناك جدل محتدم بين أغلب الزيدية الذين عرفوا بالمخترعة ، وبين المطرفية وقد يطلق عليها الطبائعية(٥) . ورغم سيادة الدولة الرسولية واختفاء الدولة الزيدية إلا أن الفكر الزيدي ظل يصارع بعضه بعضاً تحت هذه الظروف ، ويظهر هذا من خلال الكتب والرسائل التي ظهرت حينذاك لتدل على هذا الصراع مثل رسائل القاضي عبد الله بن زيد العنسي (ت ٦٦٧هـ/١٢٦٨م)(٦) .

وبالتأكيد فإن الهجوم على المطرفية من قبل الزيدية كان رداً على كتب ورسائل أَلَّفُوْهَا ونشروها بين أتباعهم ولكنها لم تصل إلينا ، ولعل سبب اختفائها جاء نتيجة تلك الحملة التي شنت على المطرفية مما أدى إلى إبادة مآثرهم الفكرية(٧) .

وتولى علماء الزيدية أيضاً المنافحة عن المعتزلة وإن وجد منهم من خالفهم وتصدى لفكرهم مثل حميدان بن يحيى حميدان (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٨م)(٨) ، ومحمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) فقد جند نفسه وفند ذلك في رسائل وكتب أنشأها لهذا الغرض(٩).

ورغم اهتمام الزيدية بالمعتزلة إلا أن من النادر أن نجد ردوداً أو مناظرة ضد المعتزلة من جانب أهل المذهب الشافعي الغالب في المناطق التي يسود فيها المذهب الشافعي ولعل هذا يرجع إلى أن الشافعية كانوا مهتمين بالفروع أكثر من اهتمامهم بالأصول .

وإن كان قد وجدت بعض المؤلفات في علم الكلام إلا أنها تعد قليلة جداً بالنسبة للاهتمام بالفروع ، ولم تظهر مؤلفات في علم الكلام في أوساطهم إلا من قبل بعض كبار علمائهم مثل يحيى بن عمر بن محمد بن أبي الخير العمراني (ت ٥٥٨هـ/١١٦٣م) الذي ألف كتاب الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ويقصد بهم المعتزلة والأشعرية(١٠) .. لأن المذهب الأشعري دخل اليمن مع الأيوبين(١١) وانتشر في وسط الشافعية ، وإن عارضها بعضهم كما هو حال العمراني .

ومع هذا فقد كان ابنه طاهر (ت ٥٨٧هـ/١١٨٢م) أشعري المعتقد بينما الأب كان حنبلياً(١٢) .

ومن هنا فإن نتاج أهل السنة من شافعية وغيرهم في مجال علم الكلام لا يكاد يذكر(١٣) . كما قلنا لاهتمامهم بالفروع ولبعد منطقتهم عن حلبة الصراع الكلامي ، وليست كراهية علم الكلام في أوساط متعلميهم(١٤) .

ولم يؤد التسيد المذهبي إلى اضطهاد للأفكار فقد ظل الفكر الاعتزالي منتشراً في أوساط الزيدية رغم معارضة بعض كبار مفكريهم لهذا الفكر ، وظل الفكر الحنبلي سائداً في أوساط الشافعية مع الأغلبية للأشعرية ، وظل المذهب الزيدي في مناطق شمال اليمن يرعاه علماؤه ولم

تتعرض لـه الدولـة الرسولية – الشـافعية المذهب – بـأي أذى .. بـل لـم يحصـل مـن قبلهم عداء للمذاهب الأخرى فقد كانوا يبنون المدارس الشافعية وبجوارها يبنون المدارس الحنفية دون شحناء بينهما رغم وجود الخلاف في المسائل الفقهية .

ثانياً : الاتجاه في كثرة المراكز والمقرات العلمية :

هذا الاتجاه يظهر بشكل واضح في أوساط المناطق التي انتشر فيها المذهب الشافعي ، وتمتد على طول الشريط التهامي ، والجبال المطلة عليها من أقصى الشمال حتى عدن ، ثم حضرموت ولحج والضالع والبيضاء وحريب ومأرب ، ثم المناطق الداخلية التي تحيط بالجند وتعز ، وتمتد شمالاً حتى ذمار .

وكانت القرى العلمية أكثر من المدن ، مما شكل ظاهرة ملحوظة .. وعلى سبيل المثال ما نلاحظه من رصد الجندي للقرى والمدن العلمية .. فقد عد حوالي ٣٠ مركزاً في القرن السادس و ٨٩ مركزاً في القرن السابع .. وزاد هذا العدد بصورة أكبر في القرن الثامن وحتى مطلع القرن التاسع ، ومعظم تلك المراكز العلمية كانت حول (الجند) شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً[١٥] .

ولم تقتصر هذه الكثرة على أوساط الشافعية بل تعداه إلى وسط الزيدية مقارنة بما كان قبل هذا العصر ، لأنهم كانوا يعيشون مرحلة من مراحل الكمون في ظل الدولة الرسولية ، ولهذا ظهرت في أوساطهم الهجر العلمية[١٦] التي كانت بمثابة مقرات لأئمتهم ، أو علمائهم .

ويتعلق بالمراكز العلمية المقرات العلمية التي نشأت في تلك المراكز ويمكن – تجاوزاً – أن نسميها مؤسسات علمية سواءً أكانت مساجد ، أو مدارس ، أو أربطة وزوايا . فالجندي عد في القرن السادس الهجري ٢٥ مقراً علمياً ، بينما قفز قفزة هائلة في القرن السابع حيث وصل العدد إلى ١٨٢ مقراً علمياً ما بين مسجد ومدرسة ومعلامة وأربطة ..[١٧] ، وكانت تعز قد حازت قصب السبق بحكم كونها عاصمة الدولة ومقر حكامها[١٨] .

ثالثاً : اتجاه التعليم الحر :

يُلاحظ هذا الاتجاه من أكثر من مظهر :

المظهر الأول : دافع التعليم . فمن خلال تتبع دوافع التعليم ومن يقف وراءه .. فلا نجد توجهاً رسمياً من قبل الدول والأنظمة الحاكمة ، وإنما نجده نابعاً من الأفراد أنفسهم ، أو الأسر العلمية المهتمة بالعلوم والمعارف . والذي يدفعهم لهذا ليس الوصول – غالباً – إلى المناصب والقرب من الحكام ، وإنما هو دافع ديني ، ينبعث من الخلفية الشرعية للتعلم ، ومعرفة العلوم المختلفة سواءً أكان من قبل الفرد أو الأسرة ، ومن ثم فالدافع المادي يكاد يكون مختفياً لدى كل العالمين والمتعلمين[١٩] .

المظهر الثاني : حرية اختيار أماكن التعليم ونوع العلم الذي يتلقاه المتعلم ، واختيار العالم الذي يرغب التلقي عنه . وهذا نلحظه من خلال تحركات طلاب العلم وتنقلاتهم من عالم إلى

آخر ، ومن بلد إلى بلد ، فطالب العلم تجده يجوب أرجاء البلدان ليتلقى علومه ومعارفه ، دون إجبار من جهة حكومية . وإنما كلما سمع بمكان للعلم اشتهر بعلم معين سارع إليه فاستزاد من علم تلك المنطقة ، ولذلك كانت حركة الرحلة العلمية حركة موارة بين المدن والقرى العلمية ، بل والخروج إلى خارج اليمن للهدف نفسه ، وكانت المناطق والبلدان العلمية لا تشتهر إلا بعلمائها ولذلك كان العلماء يُقْصَدُون ، ويرتحل إليهم .. وكان المتعلم يختار العالم الذي يتلقى عنه بغير ما حاجة إلى الترتيب فيما يتحصله من علوم ، إنما الذي يؤثر في الاختيار هو الرغبة للعلم ، وشهرة العالم الذي يتلقى عنه .

المظهر الثالث : عدم وجود سن محدد للتعلّم . ويظهر هذا من خلال عدم وجود مرحلة معينة بدائية ولا نهائية لتلقي العلم ، فقد يبدأ المتعلم التلقي كبيراً ويظل يتراوح بين مقعد لإلقاء الدرس ، أو مقعد لتلقي الدرس .. والأمثلة كثيرة في هذا الجانب .

المظهر الرابع : تعدد العلوم . ويظهر هذا من خلال أنواع العلوم التي يتلقاها طالب العلم ، فهو لا يقتصر على علم واحد بل نجده يتلقى علوماً عدة ، ويبرع فيها ، ويؤلف فيها .

رابعاً : اتجاه الإنتاج الثقافي :

وتحت هذا الاتجاه تظهر عدة إشارات .. منها : كثرة التأليف والإنتاج الثقافي في مجالات عدة إلا أن الفقه استأثر بالنصيب الأوفر ، وحاز كل من علم الكلام وعلم التاريخ المرتبة الثانية بعد الفقه ثم أخذت العلوم الأخرى حيزاً متفاوتاً ، إلا أن علوماً جديدة راجت في هذا العصر تناولها علماء هذا العصر مثل السياسة والطب والفلك والحساب والموسيقى والصناعة والزراعة وإن كانت قليلة الإنتاج إلا أنها كانت مثارة في الأوساط العلمية[٢٠] .

ومنها : أن كتب الشروح والذيول والمختصرات كانت ظاهرة سائدة في أوساط العلماء حتى صار كل عالم يشرح كتب من سبقه ، أو يلخصه ، أو يذيل عليه ، وهذا يظهر بوضوح في علم الفقه وعلم النحو والأدب ..

ففي أوساط الشافعية مثلاً أنكبوا على كتاب المهذب في الفروع لأبي إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) والبيان للعمراني (ت ٥٥٨هـ/١١٦٣م) فجعلوا يضعون لهما الحواشي والشروح واستخراج المشكل من كل منهما[٢١] . وكذا كان الأمر في أوساط الزيدية الذين أوسعوا كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) شرحاً ونظماً وتخريجاً[٢٢] ..

خامساً : اتجاه الثقافة الصوفية :

قد لا يكون هناك موافقة على ذلك الوصف العام الذي دمغت به الدولة الرسولية بأنها دولة صوفية[٢٣] ، وإن كان لا يُرْفَض كلِّيَّة ، لأن دولة بني رسول كانت صاحبة الدور الأكبر في غرس التصوف في اليمن من خلال ما بذلوه من جهود التشجيع ، والبذل ، والتولية لرجال التصوف في ميادين القضاء والإفتاء ، وبناء الزوايا والربط والمدارس الصوفية ، والإنفاق عليها بسخاء[٢٤] .

وبعيداً عما ورد عن الأصول الشيعية للتصوف ، وحرص الإسماعيلية العبور إلى الحكم على مراكب المتصوفة[٢٥] ، بعيداً عن ذلك كله فإن الدولة الرسولية كانت سُنِّيَّة الاتجاه ، إلا أنها اعتمدت على الصوفية في تثبيت دعائمها . بل وجدت التصوف هو أسهل الوسائل لبسط سياسة الدولة في أطرافها وحواضرها . ولهذا سعوا وبكل همة لتهيئة ودعم المتصوفة بكل أشكال الدعم . فهم ليسوا دولة صوفية وإنما هم دولة استفادوا من الصوفية استفادة كاملة اجتماعياً وسياسياً حتى أن آل رسول لم يدخلوا حضرموت سياسياً إلا بعد أن صار لهم هناك وجود : ولاءً ومحبةً من خلال التصوف ، حيث تولى المتصوفة الإشاعة بين الناس بوضع السيف وكسره مادامت الدولة الرسولية تولى اهتماماً خاصاً بهم[٢٦] .

ولا نتجاوز الحد إن قلنا إن الصوفية جعلت فصلاً بين الدولة والدين ، حيث جعلت الدين في الزوايا والربط والمساجد ، وجعلت الدولة والسياسة بيد السلاطين والحكام ، فلا يتدخل أحدهما في شئون الآخر .

فالسلطان يفعل ما يشاء في سلطانه ، والمشايخ يفعلون ما يشاؤن في سلطانهم ما لم يؤد عملهم إلى التَّماس مع سلطة السلطان . واكتفى السلاطين بأن يطلبوا من المتصوفة الدعاء والإمداد المعنوي لهم في مواجهة أعدائهم ، وهذا ما نلاحظه عند بني رسول من قبل توليهم الحكم حيث كان عمر بن علي الرسولي قد أعفى بعض المشايخ الصوفية مما عليهم من ضرائب ، وكان هذا مسوغاً للمتصوفة أن ينشروا الدعاية بأنه الأحق بالملك في اليمن من الأيوبيين ومن غيرهم[٢٧] .

بل كان المتصوفة يقدمون – بشكل طوعي – التنبؤات للسلاطين بأنهم سيملكون اليمن كما قال بعضهم للمظفر[٢٨] . ويبدو أن الأمر عند السلاطين المتأخرين وصل إلى الاعتقاد بالمقام الكبير المقدس للمتصوفة ، فالسلاطين من المجاهد وما بعده كانوا يعتقدون في الصوفي الكبير إسماعيل الجبرتي (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م) ولهذا يكثر إنعامهم على أتباعه[٢٩] . بل كثرت كلمة (يعتقد) عند وصف السلاطين والأمراء . ويقصد بها الاعتقاد بمكانة الصوفي وكراماته .

ومن خلال رصد الإنتاج الثقافي نستطيع أن نصل إلى حد الجزم بأن الإنتاج الثقافي بشكل عام في العصر الرسولي صبغ بصبغه صوفية في كل مناحيه .

فالفقهاء – في معظمهم – متصوفة ، والساسة يتقربون من المتصوفة ويقربونهم إليهم ، وكتب التاريخ نفسها مصبوغة بتراجم المتصوفة وكراماتهم الصحيحة والمدعاة ، بل وخرافاتهم غير المقبولة ، إلا أننا – للإنصاف – لا ينبغي أن نصدر على المتصوفة حكماً عاماً بأنهم يشكلون جانباً سلبياً ، وأن انحرافاً كانوا يمارسونه فقد كان منهم الزهاد ، ومنهم الفقهاء ، ومنهم من كان يغضب لأي مخالفة أو ظلم يرتكبه السلاطين والأمراء ، وكذلك الكرامات لا يحق لنا أن ننكرها ، فكل مسلم تقي له كراماته التي تعرف عنهم أو لا تعرف .ولكن الذي ننكره هو الاتجاه الصوفي الغالب الذي أشاع السلبية في وسط المجتمع ، وأوصل إلى عملية الفصل بين الدين والسياسة ، أو بين الدين وجوانب الحياة الأخرى – إن صح التعبير – وهكذا ظل الناس يحومون حول رجال المتصوفة ، والتغني بالكرامات التي طغت على كل شيء ، ومن ثم طفحت كتب التراجم بالخرافات التي حبكت حول المشايخ شاءوا أم لم يشاءوا .

وفي عصر بني رسول دخلت إلى اليمن مدرسة ابن عربي الفلسفية الصوفية(٣٠) ، وتزعمها رجال من أهل اليمن اعتمدوا – في بقائهم – على أمراء البيت الرسولي ، حتى أنهم اسْتَعْدُوا السُّلْطة على الفقهاء الذي وقفوا ضد الأفكار الصوفية القادمة من خارج اليمن المنسوبة لابن عربي(٣١) .

وقد أدت تلك الأفكار إلى محن على الفقهاء في اليمن لتصديهم للصوفية ، وقد تولى تلك المحن رجال من الصوفية مقربين من سلاطين بني رسول ، وبالذات السلطان الناصر (ت ٨٢٩هـ/١٤٢٥م) وقد شرحها وفصل مراحلها عبد الله الحبشي(٣٢) ولسنا في حاجة إلى الوقوف عند تفاصيلها .

ولم تكن الصوفية في اليمن مرفوضة كلية من قبل أولئك الذين تصدوا لصوفية ابن عربي بل الصوفية بغير ابن عربي كانت هي السائدة في أوساط المناطق السنية ، كلها إلا أنها صوفية لا تنحو نحو صوفية أهل المغرب ومصر والشام التي تتصف بالدروشة ، والخزعبلات .

وكما كان التصوف سائداً في المناطق السنية عموماً .. فإن المناطق التي تسود فيها الزيدية كان الأمر مختلفاً تماماً سواء من قبل المتصوفة أو من قبل الأئمة . فهؤلاء لم يكونوا يقبلون التصوف أو مشايخ الصوفية لأن هؤلاء كانوا يجمعون العامة حولهم ، وهذا يؤدي إلى بعد الناس عن الأئمة الذين كانوا يسعون إلى ألا يكون للعامة مرجعية إلا الأئمة ، إضافة إلى أن المتصوفة لديهم المعتقد السني الحنبلي أو الأشعري وهو مخالف للمعتقد المعتزلي السائد في أوساط الزيدية ، ولهذا لا وجود للصوفية في أوساط الزيدية(٣٣) . وقد حاول الإمام المهدي أحمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) أن يستميل متصوفة تهامة إلى جانبه ضد بني رسول إلا أنه فشل باعتذار من شيخهم أبي الغيث (ت ٦٥١هـ/١٢٥٢م) بحجة أنهم لا يشهرون السيف إلا على أنفسهم ، وأنهم لا فراغ لهم إلا للعبادة(٣٤) . أي لا دخل لهم في الصراع السياسي .

وبالجملة فإن زعامات المتصوفة كانوا يتحاشون الالتقاء بالأئمة تحت أي مناسبة[٣٥] مما حدا بأحد الأئمة وهو صلاح الدين محمد بن علي (ت ٧٩٣هـ/١٣٩١م) أن يهاجم مقراتهم في تهامة ، ويقتل أحد كبراء الصوفية فيهم بصورة مباغتة دون قتال[٣٦] ، مما أدى إلى مزيد من التباعد بين الصوفية والأئمة .

أما الصوفية في حضرموت فقد كان لهم السيادة الكاملة على كل شيء في حياة الناس حتى قال أحد الباحثين[٣٧] : إن جميع علماء حضرموت هم متصوفة مستدلاً بالتراجم التي وردت في مصادرهم ، وعدم وجود نزاع بين الفقهاء والصوفية في حضرموت .

وقد انتشر التصوف في حضرموت على مثل ما هو عند المتصوفة عموماً[٣٨] ، إلا أنه لم يتأثر بالطقوس الممارسة عند المتصوفة في بلاد المغرب ومصر والشام ، وقد أنتج نتاجاً ثقافياً صوفياً هائلاً صبغ الحياة الثقافية في حضرموت بشكل صوفي كامل .

سادساً : الاتجاه المذهبي :

رغم أن المذهبية كانت سائدة في بلاد الإسلام كلها إلا أن اليمن انحسرت فيه المذاهب إلى مذهبين اثنين هما الشافعية والزيدية .. وفي ظل الدولة الرسولية بقيت بقية من المذهب الحنفي الذي أشير إليه من خلال بعض علمائه الذين كانوا في مدن تهامة ولم يكن المذهب الحنفي سائداً في أوساط الناس بل كان لدى بعض العلماء بل كان البعض منهم يُدَرِّسون الفقه الشافعي والحنفي معاً[٣٩] .

حتى أن علماء الحنفية أنفسهم كانوا ينشئون المدارس الحنفية والشافعية جنباً إلى جنب كما حصل من قبل عبد الرحمن بن محمد العلوي (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) الذي أنشأ مدرستين شافعية وحنفية في زبيد[٤٠] بل كان بعضهم يفتي فتاوى على المذهب الحنفي والمذهب الشافعي في وقت واحد[٤١] .

وهذا المسلك يدل على عدم التعصب المذهبي وعلى عدم وجود عداء بين أتباع المذهبين .

وفي هذه الأثناء كان هناك علماء ينهجون نهج الدعوة إلى عدم التقليد وكان على رأسهم محمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) الذي لم يهدأ له بال في نضاله المتشعب تارة ضد الفكر اليوناني الذي تسرب إلى أوساط المفكرين المسلمين ، وتارة ضد التقليد وآثاره المدمرة .. وتارة ضد المتعصبة من الزيدية الذين تسرب إلى أوساطهم الفكر الشيعي الاثنا عشري ..[٤٢] .

ولم يعرف اليمن صراعاً مذهبياً عاماً ، ولم تنشئ المذهبية الفقهية تجمعات طائفية متنافرة ، متنازعة ..

وإذا كان هناك نزاع فقد يكون داخل المذهب الواحد ، أو المذاهب المختلفة حول قضايا مرتبطة بالعقيدة كما هو حال النزاع بين المطرفية ، والمخترعة في وسط الزيدية ، والأشعرية

والحنبلية في وسط الشافعية . أو بين الفقهاء والصوفية الحلولية في وسط الشافعية ، أو بين الزيدية والشيعة الاثنا عشرية .

سابعاً : الاتجاه العلمي لدى السلاطين والأئمة :

شهد هذا العصر – عصر بني رسول – تسنم السلاطين مقاليد العلم والثقافة بأنواعها المختلفة ، فلم يكتفوا بتولي ناصية الحكم ، ومقاليد السياسة وإدارة المعارك الحربية فحسب ، وإنما صاروا يخوضون ميادين العلم والثقافة : دراسةً وتحقيقاً وتأليفاً ومشاركة ، بل ومنافسة في المزاحمة أمام العلماء لتلقي العلم .

وقد قيل بأن السلاطين ، أو بعضهم قد استغلوا علماء ليؤلفوا كتباً ثم تنسب إلى أولئك السلاطين[٤٣] .. إلا أنه رغم ما يقال من مثل هذا الكلام إلا أن الحقيقة التي لا مرية فيها أن السلاطين الرسوليين كان لهم اهتمام خاص بالعلم ، غير التشجيع والعطاء في سبيله بل لتلقيه ومدارسته والتأليف في مجالاته المتنوعة .

ولا أقل من أن نشير إلى أن بعض هؤلاء السلاطين كان ينزل عن كرسي الحكم ليجلس بين يدي العالم القادم إلى اليمن لما يعلم من أنه يحمل علماً ، كما فعل السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) الذي قعد بين يدي القاضي مجد الدين الفيروز أبادي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) في مجلس الحديث المنعقد في زبيد ليسمع منه صحيح البخاري[٤٤] .

وكذلك قعد ابنه السلطان الناصر أحمد (ت ٨٢٧هـ/١٤٢٣م) أمام القاضي عز الدين عبد العزيز بن علي التويري (ت ٨٢٥هـ/١٤٢١م) مع مجموعة من الفقهاء في تعز[٤٥] .

وأما التأليف والإنتاج الثقافي للسلاطين فإننا نجد هذا شائعاً في سيرهم ، بل كانوا من أوائل من خاض غمار التأليف في مجالات من العلوم قد لا يخوضها غيرهم كما هو حال المظفر يوسف بن عمر بن علي ثاني سلاطين بني رسول (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) فقد برع في علم الفلك ، وعلم الصناعات ، وفي علم الطب[٤٦] .

أما ابنه الأشرف الأول عمر بن يوسف (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م) رغم عدم طول عمره في الحكم إلا أنه – وبالتأكيد قبل توليه الحكم – ألف مؤلفات في الطب البشري ، والبيطري ، وعلم الفلك ، وعلم الفلاحة ، وفي التاريخ والأنساب فقد عُدَّ له أحد عشر مؤلفاً[٤٧] .

ومثله المؤيد داود بن يوسف بن عمر (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م) الذي وصفه الخزرجي[٤٨] بأنه " أخذ من كل فن ، وشارك في كل علم " وكان له اهتمام بالشعر والأدب[٤٩] .

والمجاهد علي بن داود بن يوسف (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ورغم أنه تولى الحكم صغيراً – خمسة عشر سنة – إلا أنه تعلم وهو في معترك السياسة والحرب[٥٠] ، وكان له مؤلفات في الطب البيطري ، وفي الهندسة المعمارية[٥١] .

وتسلم الأفضل عباس بن علي (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) الحكم لينعم اليمن بقدر من الهدوء وانعدام الفتن[٥٢] ، وكان من أكثر ملوك بني رسول تأليفاً للكتب النادرة العلوم ، كعلم الرمل ، وعلم الفلاحة مع شهرته في تأليف كتب التاريخ من تراجم وأنساب وتاريخ عام[٥٣] .

وكان السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) متخصصاً في تأليف كتب التاريخ ومازالت موجودة بين أيدينا اليوم ورغم أنه كان يشرك غيره في تأليف ما نسب إليه من كتب إلا أنه كان يقوم بكتابة أصول الكتاب ، ثم يدفعه إلى من يقوم بتهذيبه وتكميله ثم يعود إليه ليزيد فيه وينقص[٥٤] ، وكأن دور من يدفعه إليه هو التبويب والترتيب .

ولم نشر إلى الأئمة الزيدية الذين كانوا معاصرين للدولة الرسولية بالتفصيل لأن الأئمة – وهم من آل البيت – كانوا مؤهلين علمياً ، وكان من شروط الإمامة : العلم والاجتهاد ولهذا برعوا بعلوم شتى ، رغم انشغال بعضهم بالحروب ومعترك السياسة ، إلا أنهم كانوا يتسنمون ناصية العلوم وبالذات العلوم الفقهية ، والاعتقادية في الأصول ، وفي شرعية إمامة آل البيت ، مع رسائل في التفسير ، وعلوم القرآن وغيرها من أصناف العلوم[٥٥] .

وأما نشأة هذا الاتجاه وتأهيل الحكام علمياً وبدوافع ذاتية ، فربما عند حكام بني رسول يرجع إلى انتشار الحركة العلمية حيث صار المتأهل علمياً له مكانة خاصة عند الأمة .

وقد يكون هناك سبب آخر لا يقل وجاهة عن السابق وهو أن بني رسول كان يناوئهم خصوم مؤهلون علمياً وهم الأئمة الزيدية ، ومن ثم لا بد من أن يكون الحكام من بني رسول هم أنفسهم على مستوى معين من العلم . مع أن الحكام المعاصرين لبني رسول من المماليك في مصر والشام مثلاً لم يكونوا في أي مستوى من العلم ، مع ما يبذلونه من تشجيع للعلماء والاستماع إليهم واحترامهم .

ولذلك فإن المنافسة السياسية من قبل الأئمة الزيدية وهم يحوزون مكانة علمية مرموقة لابد أن تدفع الحكام من بني رسول أن لا يكونوا أقل منهم تأهيلاً علمياً .

أما الحكام من الأئمة فتأهيلهم هو شرط لخروجهم وتصديهم للإمامة ولهذا كان تأهيلهم العلمي أمر بدهي في أوساط الزيدية ولم يكن أمراً استثنائياً[٥٦] .

ثامناً : اتجاه الحضور الثقافي للمرأة:

ولعل أبرز ما يظهر في هذا الاتجاه أن المرأة كانت حائزة لقصب السبق في بناء المدارس ، والمساجد ، والمقرات العلمية المختلفة ، ورصد الأوقاف الكبيرة للصرف على كل المَبَرَّات العلمية ، سواء على روادها من الطلاب ، أو القائمين عليها تدريساً وصيانة ورعاية .

ومن الملاحظ أن نساء البيت الرسولي كُنَّ يحملن روحاً وثابة في الصرف بسخاء على المؤسسات العلمية ، والإشراف عليها بشكل مباشر ، أو غير مباشر ..

ورغم بروز النساء في إثراء الحركة الثقافية في العهد الرسولي من خلال المشاركة في بناء المؤسسات العلمية والثقافية إلا أن التصدر للعلوم تعليماً وتأليفاً فهذا – مقارنة بما قمن به في مجال بناء المدارس – يعد شيئاً غير مذكور .

بل إن نساء بني رسول عموماً لم تظهر منهن واحدة كان لها نبوغ ثقافي أو علمي في أي مجال .. وليس معنى هذا أنهن كنَّ أُميَّات غير متعلمات ، لأن هذا مستبعد تماماً بحكم الروح العلمية السائدة في ذلك العصر ، وبحكم رغبة السلاطين في العلم والتعلم ، وكونهم من رجال العلم ، فإن من البداهة أن يهتموا بنسائهم وبناتهم في التعليم والتعلم ، وقد وردت إشارة تدل على ما بعدها ، رغم عدم تكررها ، هذه الإشارة يذكرها الجندي[٥٧] بأن بعض السلاطين كانوا يخصصون من يقوم بتعليم النساء في قصورهن .

لكن هناك نساء نبغن معلمات ومؤلفات في أوساط الفقهاء ، أو أوساط بيوت الأئمة الزيدية[٥٨] . والواقع يشهد بأن هؤلاء كُنَّ أكثر من غيرهن ، وأشهر لوجود تراجم لهن في كتب الزيدية .

أما نساء غير البيت الرسولي في أوساط المناطق التي ينتشر فيها المذهب الشافعي فلم تخبرن المصادر بأي من نسائهم كانت متعلمة أو عالمة ومن النادر أن نجد ذلك ولا نعتقد أن هذا ناتج عن عدم تعلمهن ، ولكن لعدم تسجيل المصادر لتاريخهن ، ولهذا ورد بشكل عرضي ذكر زينب ابنة الإمام أحمد بن أبي بكر الناشري (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) وهي عالمة بنت عالم وتزوجت بعالم وترجم لها السخاوي في كتابه[٥٩] . ومنهن ابنة الفقيه أبي عمر بن عبد الرحمن المعروف بالقدسي (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م)[٦٠] ، وهند بنت محمد القوتاتي التي عرف أبناؤها بأبناء المعلمة لقعودها للتعليم[٦١] ، أما في أوساط الزيدية فقد ظهرت فيهم نساء ، ولكن من بيوت الأئمة حيث ظهرت بارعات في العلم والتأليف[٦٢] ، فقد كن أكثر من غيرهن بل وأشهر لوجود تراجم لهن في كتب الزيدية[٦٣] .

تاسعاً : الاتجاه الثقافي الصحي (الطبي) والزراعي :

علم الطب من العلوم التي يحتاج إليها الناس فهي من العلوم الضرورية ، لمصلحة البشر ودوابهم .. ومن ثم فعلم الطب يظل مطلباً عاماً ، يرتاده من له فيه رغبة ذاتية أو وراثة عائلية ..

ولا شك أن الأمراض والأوبئة تكون دافعة للمهتمين بأن يبرعوا في إيجاد الحلول ، والأدوية للأمراض التي تنزل بالناس والدواب ..

فقد ظهرت أوبئة في سنوات مختلفة في عهد بني رسول منها ما حصل في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م و ٨٤٠هـ/١٤٣٦م و ٨٤٧هـ/١٤٤٣م وخلفت هذه الأوبئة التي كانت تعرف بالطاعون ضحايا كثر[٦٤] ، ولم تسلم الدواب كالخيل من مثل هذه الأمراض[٦٥] . وكان من الضروري البحث عن وسائل للوقاية من هذه الأوبئة ، أو معالجة ما تخلفه من أعراض وأمراض وبعيداً عن الوسائل الخرافية والمتعلقة بالعقليات المتصوفة ، فإن هناك وسائل اعتمد عليها العقلاء من الناس ، ومنها اللجوء إلى الوسائل العلمية الطبية . ولهذا ظهرت شخصيات الأطباء وراجت المؤلفات الطبية وشروحاتها وملخصاتها ، واستجلاب الأطباء من خارج اليمن .

فالسلطان المظفر الأول (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) يكتب إلى الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ويطلب منه طبيباً ليكون مقيماً في مدينة ظفار الحبوظي لمعالجة ما فيها من أوبئة ، وحتى لا يُظَن بالمظفر أنه يحتاج هذا الطبيب لنفسه قال : " ولا يظن المقام العالي أنَّا نريد الطبيب لأنفسنا فإنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا بعد من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً ، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب ، وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله "[٦٦] .

ورغم هذه اللفتة من المظفر إلا أن المفترض أن يقوم السلطان بإجراء أحسن مما قام به من اجتلاب الطبيب ، فماذا يفعل طبيب واحد فكان وهو العالم بالطب أجدر به أن ينشئ مدارس للطب تخرج فريقاً من الأطباء ، ولكن للأسف الشديد لم يحصل هذا رغم ما أشير إلى وجود مدرسة لتعلم الطب في زبيد[٦٧] .

بل تدلنا المصادر على أن السلاطين سعوا لاستجلاب الأطباء لأنفسهم وقصورهم[٦٨] ، ولم ينظروا إلى حاجة الأمة كنظرتهم إلى حاجة أنفسهم وأسرهم من الأطباء .

ومع أن بعض السلاطين اهتم بالطب البشري والبيطري وعلم الصيدلة بشكل مثير ، وألفوا كتباً في هذه العلوم ، إلا أنهم لم يحولوا علمهم هذا إلى مشروع طبي عام تستفيد منه الأمة .

ولا ننكر أن الأمة ستستفيد من الكتب التي ألفها السلاطين مثل كتب المظفر يوسف بن عمر (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) الطبية ومنها : البيان في كشف الطب للعباد ، والمعتمد في الأدوية المفردة والكتاب الأخير رغم أنه استفاد من كتب من سبقه إلا أنه عمل على حصر المفردات الطبية المتداولة عند أهل اليمن وحرص على تفسيرها[٦٩] .

وأما ابنه الأشرف الأول عمر بن يوسف (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) فقد كان أكثر من أبيه براعة في الطب ، وألف كتباً فيه ، وراجت كتبه ومنها كتاب المغني في طب البيطرة[٧٠] .

ولم يبق الطب في حوزة السلاطين بل كان لعلماء آخرين دور وظهور ونبوغ في علم الطب مثل جمال الدين محمد الضراس (ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م) الذي كان يُقْصَد من كثير من مناطق

اليمن لتعلم الطب عنده في مدينة تعز[٧١] وغيره من المتعلمين في الطب مع العلم أن الطب لم يكن مختصاً بأطباء لا صلة لهم بعلوم أخرى بل كان الفقيه هو طبيب وهو حاذق لعلوم أخرى[٧٢] .

وكان كلما قدم طبيب من خارج اليمن أقبل عليه الناس تعلماً واستشفاءً[٧٣] ، وكان السلاطين يحرصون على دفع رواتب (جامكية) للأطباء والقادمين إلى اليمن حتى ينتفع بهم الناس[٧٤] .

ورغم هذه الجهود المتناثرة في مجال التثقيف الصحي إلا أنها تعد جهوداً متقدمة تعتمد على خطوات علمية حديثة بالنسبة لعصرهم ، مستفيدين من البيئة وما فيها من أعشاب طبية ، مع إصدار التوجيهات والإرشادات الطبية بتجنب الأماكن الوبئة ، والابتعاد عن المستنقعات ، وكل ما يولد الأمراض ، وهذا التوجه التثقيفي الصحي لا شك أنه يعد خطوة متقدمة في هذا المجال [٧٥]، إلا أنه كما يبدو كان محدوداً ولم يكن كافياً لسد حاجة الناس لمعالجة ما يصيبهم من مرض .

أما التثقيف الزراعي لمعالجة الآفات التي تصيب مزروعاتهم فقد كانت الخبرة التي اكتسبها المزارع اليمني تغنيه عن المؤلفات الإرشادية ، ومع هذا وجدت في الأوساط العلمية مؤلفات تدل المزارعين على الآفات وكيفية مكافحتها ، وقد تولى السلاطين أنفسهم التأليف في هذا النوع من الثقافة . فكتب الملك عمر بن يوسف بن عمر الرسولي كتاب (ملح الملاحة في معرفة الفلاحة) تعرض فيه ضمن ما تعرض لمقاومة الآفات التي تتعرض لها المزروعات .

عاشراً : الاتجاه الثقافي المعماري :

تميز العصر الرسولي بظاهرة ثقافية عمرانية تنافس فيها وتسابق الأمراء والسلاطين والوجهاء ونساؤهم .. كل يسعى وينافس الآخر في هذه الظاهرة الثقافية العمرانية وهي بناء المدارس والمساجد والقلاع .

وكل مدرسة كانت تحتوي على مسجد ومرافق ينتفع بها رواد المدرسة ، وقد عد الأكوع[٧٦] مائة واثنتين وأربعين مدرسة معروفة وعدداً آخر لم تدل عليها المصادر . أما السنيدي[٧٧] فقد وصل بعدد المدارس إلى أكثر من مائة وثلاثين مدرسة .

مع العلم أن المساجد كانت تعد مقراً للعبادة ، ومكاناً للدراسة سواءً المساجد الجامعة أو المساجد غير الجامعة . وشملت المدارس والمساجد معظم مناطق اليمن سواءً أكانت قرية أو مدينة . إلا أن مدينة تعز وما حولها من القرى حازت قصب السبق في عدد المدارس[٧٨] يليها مدينة زبيد وبلاد التهائم .. ثم إب وما حولها من القرى والمخاليف ويأتي في الأخير مدن مثل ظفار وصنعاء وصعدة[٧٩] .

ومن الطريف أن المساجد والمدارس في مدينة زبيد وحدها حصرت في عهد السلطان الأشرف (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) فبلغت ٢٣٠ مدرسة ومسجداً[٨٠] .

بل إن ما أنشئ من منشآت تعليمية في عهد المظفر (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) بلغت ٣٣% من نسبة عدد المدارس في العهد الرسولي كله[٨١] .

ومما يلحق بالمدارس – غير الجوامع والمساجد – الرُّبَط والخانقاوات والزوايا حيث بلغت الذروة في عددها والاهتمام بها خاصة أن بني رسول كان لهم باع طويل في تشجيع التصوف وحمايته والإنفاق عليه .

وربما من الأسباب التي أدت إلى وجود ظاهرة الثقافة المعمارية المتمثلة في المدارس إقبال النساء – ذوات الأموال – على بناء المدارس والإنفاق عليها بسخاء .

ولم تكتف المرأة الواحدة ببناء مدرسة واحدة بل مدارس عدة في مناطق مختلفة سواء في تعز أو عدن أو زبيد أو ذي جبلة وغيرها[٨٢]

ويكمن وراء هذه الظاهرة الواضحة العديد من الأسباب .. منها : محبة السلاطين والأمراء والوجهاء ونسائهم للعلم والعلماء والرغبة في التقرب إلى الله من خلال هذا النشاط العلمي المكفول له الاستمرارية[٨٣] .

ومنها : رغبة أصحاب المذاهب في إنشاء مدارس لمذاهبهم وبالذات ذلك التنافس بين الشافعية والحنفية وقد كانت المدارس الشافعية هي الرائجة ولذا طالب الفقهاء والسلاطين ببناء المدارس للحنفية[٨٤] وربما قام العلماء الأحناف أنفسهم ببناء مدارس يدرس فيها مذهبهم[٨٥] .

ومنها : الرغبة الجامحة عند الناس في الوقف فانتشر الوقف العلمي بشكل كبير في عهد بني رسول وكان معظمه يدور حول بناء المدارس ومرافقها .. ومن يقوم بشأنها[٨٦] .

ومما يلاحظه الدارس أن المنشآت المعمارية كانت من الضخامة بحيث أن بعضها ما زال قائماً حتى اليوم رغم ما تعرضت له من عوارض الدهر ونكباته ، وهذا ما نشاهده من مسجد المظفر ، ومسجد الأشرفية في تعز .

لكن القصور الرسولية التي بنيت في تعز كانت من الضخامة والأبهة ما أوقف الأدباء مشدوهين وهم يصفونها ، وينثرون أعاجيبها ، ولكنها لأنها قامت على نوايا غير حسنة نجدها اندثرت وانتهت ولم تبق حتى آثارها .

<u>الهوامش</u>

[1] انظر : المعجم الوسيط ٩٨/١ (مادة : ثقف) .

[2] الجرجاني . التعريفات ١٨٥ .

[3] ابن خلدون . المقدمة ٤٣٠ .

[4] المقدمة ٤٣١ .

[5] الأهجري . الحياة العلمية . ص١٥ – المخترعة : إحدى مسميات فرق الزيدية ، وسُمُّوا بذلك بقولهم باختراع الله الأعراض والأجسام (انظر : الشجاع . الحياة العلمية ١٤٢) – المطرفية : نسبة إلى مطرف بن شهاب العبادي الشهابي الذي ظهر سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م (انظر : الشجاع . الحياة العلمية ١٤١) .

[6] يحيى بن الحسين . طبقات الزيدية الصغرى ١٦٣ – وإبراهيم بن القاسم . طبقات الزيدية الكبرى ٦١١/٢ – الأكوع . هجر العلم ١٨١٠/٤ .

[7] كان هذا عام ٦١٣هـ/١٢١٦م على يد عبد الله بن حمزة (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) أيام سلطة الزيدية إلا أن اتلاف مؤلفات المطرفية ظل سائداً حتى في عهد اختفاء الإمامة الزيدية وذلك على يد رجالاتهم (انظر : الأهجري . الحياة العلمية في اليمن ١٥) .

[8] إبراهيم بن القاسم . طبقات ٤١٢/١ .

[9] انظر : الشوكاني . البدر الطالع ٩٢/٢ .

[10] الجندي . السلوك ٢٩٦/١ ، ٢٩٧ – با مخرمة . قلادة النحر ٢٣٧٠/٢-٢٣٧٤ .

[11] يحيى بن الحسين . طبقات ١١٣ . والأشعرية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م) .

[12] الجندي . السلوك ٢٩٦/١، ٢٩٧ .

[13] انظر . الأهجري . الحياة العلمية ١٩ .

[14] الجندي . السلوك ٢٩٦/١، ٣٠٤ .

[15] انظر الجداول الإحصائية التي اعتمد عليها . المخلافي . تطور الحياة الفكرية في اليمن ٣٠-٣٥ ، ٤٨-٦١ .

[16] هذا المصطلح خاص بأهل اليمن ويقصد به كل محلة أو قرية أهلت بالعلماء فصارت محمية من القبائل بقواعد يوثقونها فيما بينهم وتعرف المحلة أو القرية بالهجرة .. كهجرة الظفير ، وهجرة الأبناء وهكذا (انظر : الأكوع . المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن ١٥-٢٢) .

[17] المخلافي . تطور الحياة الفكرية ٦٥-٧٤ .

[18] انظر : الشرفي . الحياة العلمية في تعز .

[19] انظر : الأهجري . الحياة العلمية ٢٧٠ .

[20] المخلافي . تطور ١٦٢-١٦٨ .

[21] نفسه .

[22] الأهجري . الحياة العلمية ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

[23] عبد النور . الحياة العلمية في حضرموت ٢٠٤ .

[24] الحبشي . الصوفية والفقهاء ٤٦-٥٠ .

[25] النجار . عامر . الطرق الصوفية ١١٢، ١١٣ . وانظر : المعلم . أحمد حسن . القبورية في اليمن : نشأتها آثارها موقف العلماء منها ١٩٦-١٩٩ . ط الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدارسات العلمية ، صنعاء . اليمن (وأصلها رسالة ماجستير) .

[26] عبد النور . الحياة العلمية في حضرموت ٢١٠ .

[27] انظر : الحبشي . الصوفية والفقهاء ٤٥، ٤٦ .

(28) الشرجي . طبقات الخواص ٨ هذا الصوفي المتنبئ هو إبراهيم بن الحسن الشيباني الذي أعفاه المظفر مما على أرضه من ضرائب . ولعل هذا الإعفاء كان مقابل تلك التنبؤات .

(29) انظر : الحبشي . الصوفية والفقهاء في اليمن ٤٨-٥٠ .

(30) انظر : الحبشي . الصوفية والفقهاء ٧٣ – ابن عربي : أبو بكر محمد بن علي الحائمي الطائي الأندلسي المعرف بمحيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) يلقب بشيخ الصوفية واشتهر مذهبه بوحدة الوجود والأديان ومن أهم كتبه (الفتوحات الكلية) [انظر : أبو ريان . ابن عربي ، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ١٣٣] .

(31) الجندي . السلوك ١١١/٢-١١٣ . وكان هذا في عهد المظفر .

(32) الصوفية والفقهاء ١٤٢-١٥٤ .

(33) انظر الحبشي . الصوفية والفقهاء ٥٣ .

(34) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ١٠٨/١ .

(35) الشرجي . طبقات الخواص ١٢٣ .

(36) المصدر نفسه ٢٤ . الصوفي المقتول هو : أحمد بن زيد بن عطية الشاوري (ت ٧٩٣هـ/١٣٩١م) .

(37) عبد النور . الحياة العلمية في حضرموت ٢١٢، ٢٢١ .

(38) المرجع نفسه ٢١٣-٢١٨ .

(39) الأهدل . تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ٥٦٣/١ – والبريهي . طبقات صلحاء اليمن ٢٠٨ .

(40) بامخرمة . قلادة النحر ٦٦٨/٣، ٦٦٩ .

(41) البريهي . طبقات صلحاء اليمن ٢٠٧ .

(42) انظر الشوكاني . البدر الطالع ٨١/٢-٩٣ .

(43) الفاسي . العقد الثمين ٩٦/٥ . وانظر : الحبشي . حكام اليمن ١٥٨ .

(44) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ٢٣٥/٢ – العسجد المسبوك ٤٩٠ .

(45) البريهي . طبقات صلحاء اليمن ٣٤٣ .

(46) انظر : الحبشي . حكام اليمن ١١٢-١١٤ . من كتبه المشهورة : المخترع في فنون من الصنع .

(47) انظر المرجع نفسه . ١١٧-١١٩ . من كتبه المعروفة في الطب : المعتمد في الأدوية المفردة . وفي التاريخ والأنساب : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب .

(48) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ٤٤٢/١ .

(49) انظر : الحبشي . حكام اليمن ١٢٦ .

(50) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ١/٢ وما بعدها .

(51) انظر : الحبشي . حكام اليمن ١٥٣-١٥٥ . من كتبه : الأقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطرة .

(52) الخزرجي . العقود الؤلؤية ١٢٧/٢ وما بعدها .

(53) انظر : الحبشي . حكام اليمن ١٥٨، ١٥٩ . له من كتب التاريخ : العطايا السنية والموارد الهنية في المناقب اليمنية وذيلة نزهة العيون .

(54) السخاوي . الضوء اللامع ٣٠٠/٢ . من كتبه في التاريخ : فاكهة الزمن ، والعسجد المسبوك .

(55) انظر الحبشي . الحكام المؤلفون ١٠٥، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٦-١٤٨ ، ١٧٥-١٩٩ .

(56) انظر : زبارة . أئمة اليمن . الجزء الأول .. فكله شرح لحياة الأئمة وتفوقهم العلمي ..

(57) الجندي . السلوك ٤٥/٢ – وانظر : هديل . طه حسين عوض أحمد . الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة صنعاء (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) . ٣٩٤ .

(58) منهن ابنة الفقيه أبي عمر بن عبد الرحمن المعروف بالقدسي (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م) (الجندي . السلوك ٦١/٢) وهند بنت محمد القوتاني اللتي عرف أبناؤها بأبناء المعلمة لعملها في التعليم (الوصابي . تاريخ وصاب ٢١٢، ٢٢٧) .

(٥٩) الضوء اللامع ٣٩/١٢ . وانظر الحبشي . معجم النساء اليمنيات ١٠٢، ١٠٣ .

(٦٠) الجندي . السلوك ٦١/٢ .

(٦١) الوصابي . تاريخ وصاب ٢١٢ ،٢٢٧ .

(٦٢) أبو الرجال . مطلع البدور ١٠١/٢، ١٥٤ ،١٥٥ (مخطوط) — زبارة . أئمة اليمن ٢٥٨/١، ٢٥٩، ٣٠٨ — الشوكاني . البدر الطالع ٢٥٩/١ .

(٦٣) مثل صفية بنت المرتضى بن المفضل (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) التي ألفت الرسائل ونافست العلماء (زبارة . خلاصة المتون ٤١) ودهماء بنت يحيى بن المرتضى (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) التي كانت من أوائل من شرح الأزهار الذي ألفه أخواها أحمد (الحبشي . معجم النساء اليمنيات ٧٥) ومنهن فاطمة بنت المهدي أحمد بن يحيى من أشهر النساء فقهاً في وسط الزيدية (الحبشي . معجم النساء ١٤٩) .

(٦٤) انظر : هديل . الحياة الاجتماعية ٢٥٨-٢٨٦ ، ٤٣٨ ، ٤٦٧ — عبد النور . محمد يسلم . الحياة العلمية في حضرموت ٢٦١ .

(٦٥) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ١٧/٢ ، ٤٧ ، ١١١ .

(٦٦) المصدر نفسه ٢٧٨/١ .

(٦٧) المصدر نفسه ٩١/٢ — العسجد المسبوك ٣٩٩ . وانظر : العبادي . عبد الله قائد . الحياة العلمية في زبيد ١٩٩ .

(٦٨) نور المعارف ١٢١/٢ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٠ — الخزرجي . العقود اللؤلؤية ٦٦/١ — الملك الأشرف . فاكهة الزمن ب ٧٩٢/٥ .

(٦٩) المظفر الرسولي . المعتمد في الأدوية المفردة ٥٥٨ وما بعدها . تحقيق / مصطفى السقا ، دار القلم ، بيروت (د . ت) .

(٧٠) الخزرجي . العقود اللؤلؤية ٢٣٤/١ — الأكوع . المدارس الإسلامية ١٨٦ — الحبشي . حكام اليمن ١١٩ — العراشي . الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول ١٧٠-١٧٢ .

(٧١) البريهي . طبقات صلحاء اليمن ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٧٢) انظر : الأهجري . الحياة العلمية في القرنين التاسع والعاشر ٧٨٤ وما بعدها ..

(٧٣) البريهي . طبقات صلحاء اليمن ٢١٧ .

(٧٤) الجندي . السلوك ٥٧١/٢ .

(٧٥) انظر : هديل . الحياة الاجتماعية ٢٨٥-٢٨٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٧٦) المدارس ٨٢ وما بعدها .

(٧٧) المدارس اليمنية ١٧٠-١٨٠ .

(٧٨) انظر : آمال حامد المصري . مدارس مدينة تعز باليمن في عصر بني رسول سنة ٦٢٦هـ إلى سنة ٨٥٨هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤م) دراسة أثرية حضارية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

(٧٩) انظر : الجداول التي أنشأها السنيدي عن المدارس ومقراتها .. المدارس وأثرها ٤٥٤-٤٦٣ .

(٨٠) انظر : الشجاع . الوقف العلمي ١٤ .

(٨١) العراشي . عبد الحكيم محمد ثابت سلام . الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ) دراسة سياسية وحضارية ١٧٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة .

(٨٢) انظر : هديل . الحياة الاجتماعية . ٣٩٤-٣٩٩ .

(٨٣) العقيلي . المخلاف السليماني ٢٣٥/١ .

(٨٤) الشرجي . طبقات الخواص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٨٥) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن ١٩٤/٢ .

(٨٦) انظر تفصيل هذا المدارس عند السنيدي : المدارس اليمنية — والعبادي . مدارس زبيد — والشرفي . مدارس تعز — والشجاع . الوقف العلمي في اليمن في عهد الدولة الرسولية . بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس للحضارة اليمنية (عدن الحضارة والتاريخ) جامعة عدن ٣-٥ أبريل ٢٠٠٧م .